

كتاب ذكر الموت وما يتعلق به

وفيه أربعة عشر بابا :

obeyikandl.com

الباب الأول

في آداب المريض

ينبغي له أن يستعد بالتوبة ورد المظالم إلى أهلها وهذا لا يختص بالمريض إلا أن ذلك في حقه أكد ويستحب له الصبر على المرض وترك الأثمين ما أطاق ويكره له كثرة الشكوى فإنه من تشكى من آلامه إلى إخوانه نقص أجره وصبره ومن تشكى من مولاه والعياذ بالله ذهب أجره وثبت وزره وألمه لم يزل .

وقد ذكر أبو حامد - رَحِمَهُ اللهُ - في الإحياء عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا مرض العبد بعث الله تعالى إليه ملكين فقال : انظرا ماذا يقول لعوده فإن هذا إذا جاءه أحد حمد الله وأثنى عليه رفعا ذلك إلى الله وهو أعلم فيقول لعبدي علي إن توفيته أن أدخله الجنة وإن أنا شفيتك أن أبدله لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وأن أكفر عنه سيئاته»⁽¹⁾.

وعن سعيد وأبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال : «من قال لا إله إلا الله والله أكبر صدقه ربه فقال لا إله إلا أنا وأنا أكبر ، وإذا قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال يقول لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي في ملكي ، وإذا قال لا إله إلا الله له الملك وله الحمد قال لا إله إلا أنا لي الحمد ولي الملك ، وإذا قال لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله قال لا إله إلا أنا

(1) أوردته الحافظ في اللسان (254/4 ترجمة 690 على بن محمد الزيادي) وقال : أشار الدارقطني في غرائب مالك إلى لينه ، وأنه تفرد عن معن عن مالك عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رفعه : إذا مرض العبد... الحديث ، وقال : إنما هو في الموطأ بسند منقطع عن غير سهيل .
حديث عطاء بن يسار المرسل : أخرجه مالك (2/940 ، رقم 1682) ، والبيهقي في شعب الإيمان (187/7 ، رقم 9941) .

لا حول ولا قوة إلا بي» . وكان يقول : «من قال هذا في مرضه ثم مات لم تطعمه النار». رواه الترمذي (1).

وروي أن النبي ﷺ دخل على علي - رضي الله عنه - وهو مريض فقال له : «قل اللهم إني أسألك تعجيل عافيتك وصبرا على بليتك وخروجاً من الدنيا إلى رحمتك فإنك ستعطي إحداهن» (2).

قال في الإحياء وفي صحيح الحاكم عن النبي ﷺ أنه قال : «هل أدلكم على اسم الله الأعظم دعاء يونس عليه السلام» فقال رجل : يا رسول الله هل كانت ليونس خاصة فقال : «ألا تسمع قوله ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَمَخَيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (3)؟ فأيا مسلم دعا بها في مرضه أربعين مرة فمات في مرضه ذلك أعطي أجر شهيد وإن برئ برئ مغفورا له» (4).

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : «ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه» رواه البخاري (5).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «إن الرجل أو المرأة ليعمل

(1) أخرجه الترمذي (492/5)، رقم (3430) وقال : حسن غريب .

(2) أخرجه ابن حبان (202/3)، رقم (922)، والحاكم (703/1)، رقم (1917) وقال : صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي . وأخرجه أيضاً : الطبراني في الأوسط (293/1)، رقم (969)، وابن عدى (217/3)، رقم 714 زهير بن محمد العنبي، والديلمى (454/1)، رقم (1844) .

(3) سورة الأنبياء، الآية : 88 .

(4) أخرجه الحاكم (685/1)، رقم (1865) .

(5) البخاري (1005/3)، رقم (2587)، وأخرجه مالك (761/2)، رقم (1453)، والطيالسي (ص 252)، رقم (1841)، وابن أبي شيبة (227/6)، رقم (30931)، وأحمد (80/2)، رقم (5511)، ومسلم (3/1249)، رقم (1627)، وأبو داود (112/3)، رقم (2862)، والترمذي (304/3)، رقم (974)، وقال : حسن صحيح . والنسائي (238/6)، رقم (3615) وابن ماجه (902/2)، رقم (2702) .

بطاعة الله تعالى ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب
لهما النار⁽¹⁾ . ثم قرأ أبو هريرة **﴿مَنْ بَعَدَ وَصِيَّةً﴾** إلى قوله **﴿غَيْرَ**
مُضَاكِرٍ﴾⁽²⁾ .



(1) أخرجه أبو داود (113/3)، والترمذى (431/4 رقم 2117) وقال: حسن صحيح غريب .
والبيهقي (271/6)، رقم 12365 . وأخرجه أيضًا: الديلمي (192/1)، رقم 723 .
(2) سورة النساء، الآية: 12 .

الباب الثاني

في الحث على ذكر الموت

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ .

وفي الحديث «لما خلق الله عز وجل آدم عليه السلام اشتكت الأرض إلى ربها لما أخذ منها فوعدها أن يرد إليها ما أخذ منها فما من أحد إلا يدفن في التربة التي خلق منها» ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فمن عمل صالحا وفيه وكمل أجره بدخول الجنة والتباعد من النار وهو معنى قوله ﴿فَمَنْ زُحَّجَ عَنِ النَّارِ﴾ أي بعد عنها ﴿وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ أي ظفر بالخير ونجا من الشر ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ﴾⁽¹⁾ يريد العيش في هذه الدار الفانية يغر الإنسان بما يتمناه من طول البقاء وسينقطع عن قريب .

وقال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾⁽²⁾.

قال عطاء الخراساني - رَحِمَهُ اللهُ - في تفسير هذه الآية إن الملك ينطلق فيأخذ من تراب المكان الذي يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلق من التراب والنطفة .

وروى الترمذي الحكيم في نوادر الأصول عن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : خرج علينا رسول الله ﷺ يطوف ببعض نواحي المدينة ، وإذا بقبر يحفر فأقبل عليه فقال : «لمن هذا؟» ف قيل لرجل من الحبشة فقال : «لا إله إلا الله سيق من أرضه وسمائه حتى دفن في الأرض التي خلق منها»⁽³⁾.

(1) سورة آل عمران ، الآية : 185 .

(2) سورة طه ، الآية : 55 .

(3) ذكره الحكيم (266/1) .

وأنشد بعضهم⁽¹⁾: [من الوافر]

مشيناها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها
وأرزاق لنا متفرقات فمن لم تأته منا أتاهها
ومن كتبت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها
وروى أبو نعيم عن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال قال رسول الله ﷺ:
«ما من مولود إلا وقد ذر عليه من تراب حفرتة»⁽²⁾.

قال أبو عاصم النبيلي ما نجد لأبي بكر وعمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - فضيلة مثل
هذه لأن طينتهما طينة رسول الله ﷺ. وقال الله تعالى ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا
تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾⁽³⁾.
قال رسول الله ﷺ: «إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها
حاجة» أو قال: «بها حاجة»⁽⁴⁾.

وأنشدوا: [من الطويل]

إذا ما حمام المرء كان ببلدة دعته إليها حاجة فيطير
وروى الترمذي عن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال قال رسول الله ﷺ:
«أكثرُوا ذكر هاذم اللذات»⁽⁵⁾. يعني الموت. وقال رجل: يا رسول الله، أي

(1) المستطرف 48/2.

(2) أخرجه الراعي (137/4).

(3) سورة لقمان، الآية: 34.

(4) من حديث مطر بن عكاس: أخرجه أحمد (227/5)، رقم (22034)، والترمذي (4/452)، رقم (2146) وقال: حسن غريب. والطبراني (20/343)، رقم (807)، والحاكم (1/102)، رقم (125). وأخرجه أيضًا: الطبراني في الأوسط (3/94)، رقم (2596).

من حديث أبي عزة: أخرجه الترمذي (4/453)، رقم (2147) وقال: صحيح. وأخرجه أيضًا: ابن حبان (14/19)، رقم (6151).

(5) من حديث أبي هريرة: أخرجه أحمد (2/292)، رقم (7912)، والترمذي (4/553)، رقم (2307).

المؤمنين أفضل؟ قال : «أحسنهم خلقاً» . قال : فأبي المؤمنين أكيس؟ قال : «أكثرهم للموت ذكراً وأحسنهم لما بعده استعداد أولئك الأكياس»⁽¹⁾.

وقال صلى الله عليه وسلم : «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله»⁽²⁾.

وقال صلى الله عليه وسلم : «أكثروا ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا»⁽³⁾.

=وقال : حسن غريب . والنسائي (4/4 ، رقم 1824) ، وابن ماجه (2/1422 ، رقم 4258) ، وابن حبان (7/259 ، رقم 2992) ، والبيهقي في شعب الإيمان (7/354 ، رقم 10559) . من حديث عمر : أخرجه أبو نعيم في الحلية (6/355) .

ومن حديث أنس : أخرجه الطبراني في الأوسط (1/213 ، رقم 691) ، والبزار كما في كشف الأستار (4/240 ، رقم 3623) ، قال الهيثمي (10/308) : رواه البزار ، والطبراني باختصار عنه ، وإسنادهما حسن . وأخرجه أبو نعيم في الحلية (9/252) ، والبيهقي في شعب الإيمان (1/498 ، رقم 826) ، والضياء (5/76 ، رقم 1701) .

(1) من حديث ابن عمر : أخرجه الحاكم (4/583 ، رقم 8623) وقال : صحيح الإسناد . وأبو نعيم في الحلية (1/313) . وأخرجه أيضا : ابن ماجه (2/1423 ، رقم 4259) ، قال البوصيري (4/249) : هذا إسناد ضعيف . وأخرجه الطبراني في الأوسط (5/61 ، رقم 4671) ، وفي الصغير (2/189 ، رقم 1008) ، وفي مسند الشاميين (2/392 ، رقم 1559) ، والبيهقي في شعب الإيمان (7/351 ، رقم 10550) ، والبيهقي في الزهد (2/190 ، رقم 456) .

ومن حديث سعد بن مسعود : أخرجه ابن المبارك (1/92 ، رقم 272) ، وأبو بكر في الغيلانيات (ص 375 رقم 1095) . قال الحافظ في الإصابة (3/82 ، ترجمة 3203 سعد بن مسعود الكندي) قال البغوي : له صحبة ، وذكره البخاري في الصحابة ، وأما ابن أبي حاتم فذكره في التابعين .

(2) أخرجه ابن المبارك (1/55 ، رقم 171) ، والطيالسي (ص 153 ، رقم 1122) ، وأحمد (4/124 ، رقم 17164) ، والترمذي (4/638 ، رقم 2459) وقال : حسن . وابن ماجه (2/1423 ، رقم 4260) ، وأبو نعيم في الحلية (1/267) ، والبيهقي (3/369 ، رقم 6306) ، والطبراني (7/281 ، رقم 7141) ، والحاكم (1/125 ، رقم 191) وقال : صحيح على شرط البخاري . وأخرجه أيضًا : أخرجه البزار (8/417 ، رقم 3489) ، والقضاعى (1/140 ، رقم 185) ، وابن أبي عاصم في الزهد (1/38) ، والديلمى (3/310 ، رقم 4930) .

(3) أخرجه أيضًا : الديلمى (1/30) كما في السلسلة الضعيفة للألباني (6/412 ، رقم 2879) ، قال =

وقال: «كفى بالموت واعظاً»⁽¹⁾. وقيل له: يا رسول الله، هل يحشر مع الشهداء أحد؟ قال: «نعم، من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة». وعن أنس - رضي الله عنه - أن رجلاً ذكر عند النبي ﷺ فأحسنوا عليه الثناء فقال النبي ﷺ: «كيف كان ذكر صاحبكم للموت؟» قالوا: ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال: «فإن صاحبكم ليس هنالك».

وقال ﷺ: «لو أن البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما أكلتم سميناً»⁽²⁾. وخرج رسول الله ﷺ إلى المسجد فإذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال: «اذكروا الموت أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»⁽³⁾.

وعن الحسن - رحمه الله - قال قال رسول الله ﷺ لأصحابه «أكلكم يحب أن يدخل الجنة؟» قالوا: نعم يا رسول الله. قال: «قصروا الأمل وأثبتوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله عز وجل حق الحياء»⁽⁴⁾.

= المناوى (86/2): قال الحافظ العراقي: إسناده ضعيف جداً. وتبعه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة.

(1) أحمد في الزهد (ص 176)، والقضاعي (2/302، رقم 1410)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/353، رقم 10556). قال الهيثمي (10/308): رواه الطبراني، وفيه الربيع بن بدر، وهو متروك.

(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (7/353، رقم 10557). وأخرجه أيضاً: القضاعي (2/314، رقم 1434). قال المناوى (5/315): فيه عبد الله بن سلمة بن أسلم ضعفه الدارقطني.

(3) أخرجه مالك (1/186، رقم 444)، وأحمد (6/164، رقم 25351)، والبخاري (1/354، رقم 997)، ومسلم (2/618، رقم 901)، وأبو داود (1/307، رقم 1180). والنسائي (3/132، رقم 1474). وأخرجه أيضاً: ابن ماجه (1/401، رقم 1263)، وابن الجارود (ص 73، رقم 249)، وابن خزيمة (2/319، رقم 1387).

(4) أخرجه أحمد (1/387، رقم 3671)، والترمذي (4/637، رقم 2458) وقال: غريب. والطبراني (10/152، رقم 10290)، والحاكم (4/359، رقم 7915) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي في =

وقال أبو الدرداء - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - إذا ذكر الموتى فعد نفسك كأحدهم .
وكان يزيد الرقاشي يقول لنفسه ويحك يا يزيد من ذا يصلى عنك بعد
الموت؟ من ذا يصوم عنك بعد الموت؟ من ذا يرضى عنك بعد الموت؟ ثم يقول
يا أيها الناس ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقى حياتكم؟ من الموت موعده
والقبر بيته والتراب فرشه والدود أنيسه وهو مع هذا ينتظر الفوز الأكبر كيف يكون
حاله؟ ثم يبكي حتى يسقط مغشيا عليه . وكان الثوري إذا ذكر الموت لا ينتفع به
أياما فإن سئل عن شيء قال : لا أدري .

وقال اللفاف : من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء تعجيل التوبة وقناعة
القلب ونشاط العبادة ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء تسويف التوبة وترك
الرضا بالكفاف والتكاسل بالعبادة .

وروي أن الحسن البصري - رَجَمَهُ اللهُ - دخل على مريض يعود فوجده في
سكرات الموت فنظر إلى كربه وإلى شدة ما نزل به فرجع إلى أهله بغير اللون الذي
خرج به من عندهم فقالوا له الطعام يرحمك الله فقال يا أهلاه عليكم بطعامكم
وشرابكم فوا لله لقد رأيت مصرعا لا أزال أعمل له حتى ألقاه .

وقال الحسن - رَجَمَهُ اللهُ - فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا وما
ألزم عبد قلبه ذكر الموت إلا صغر الدنيا عنده وهان عليه جميع ما فيها . وروي أن
ملك الموت دخل على داود عليه السلام فقال من أنت؟ فقال من لا يهاب الملوك
ولا يمتنع من القصور ولا يقبل الرشى قال فإذا أنت ملك الموت ولم أستعد بعد

=شعب الإيمان (6/141، رقم 7730) . وأخرجه أيضًا : ابن أبي شيبة (7/77، رقم 34320) ، والبخاري
(5/391، رقم 2025) ، وأبو يعلى (8/461، رقم 5047) ، والطبراني فى الصغير (1/298، رقم
494) . وأشار المنذرى (4/120) إلى ضعف الحديث ، وأن الصواب وقفه . قال المناوى (1/488) :
فيه أبا بن إسحاق .

قال ياداود أين فلان قرينك؟ أين فلان جارك؟ قال مات قال ما كان لك في هؤلاء عبرة لتستعد؟

وكان عمر بن عبد العزيز - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - كل ليلة يجمع الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة ثم يكون حتى كان بين أيديهم جنازة وكان حامد العصري يقول كلنا قد أيقن بالموت وما نرى له مستعدا وكلنا قد أيقن بالجنة وما نرى لها عاملا وكلنا قد أيقن بالنار وما نرى لها خائفا فبماذا تفرحون؟ وما عسيتم تنتظرون؟ الموت أول وارد عليكم من أمر الله بخير أو بشر فيا إخوانه سيروا إلى ربكم سيرا جميلا .

وقال سميط بن عجلان من جعل الموت نصب عينيه لم يبالي بضيق الدنيا ولا سعتها . وقال عمر بن عبد العزيز - رَحِمَهُ اللهُ - لبعض العلماء عظمي فقال لست أنت أول خليفة يموت قال زدني قال ليس من آبائك أحد إلى آدم إلا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكي عمر لذلك . وكان الربيع بن خثيم حفر قبرا في داره وكان ينام في اللحد كل يوم مرات يستديم به ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة لفسد .

وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير إن هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه .

وقال عمر بن عبد العزيز - رَحِمَهُ اللهُ - لعنيسة أكثر ذكر الموت فإن كنت واسع العيش ضيقه عليك وإن كنت ضيق العيش وسعه عليك . ويروى أن سليمان بن عبد الملك كان بالمسجد الحرام فأتى بحجر منقور فطلب من يقرؤه فإذا فيه ابن آدم لو رأيت قرب ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك ولرغبت في الزيادة من عمك ولقصرت من حرصك وحيلك وإنما يلقاك ندمك لو قدر زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك فبان منك الول والنسيب فلا أنت إلى

دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة يوم الحسرة والندامة .
وقال إبراهيم بن أدهم لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست
عقبات يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة ويغلق باب العز ويفتح باب الذل
ويغلق باب الراحة ويفتح باب الجهاد ويغلق باب النوم ويفتح باب السهر ويغلق
باب الغنى ويفتح باب الفقر ويغلق باب الأمل ويفتح باب الاستعداد للموت .
وقيل لحاتم الأصم - رَحِمَهُ اللهُ - كيف أصبحت؟ قال كيف يصبح من أجله
قريب وأمله بعيد والموت أمامه والقبر مسكنه وهو مع ذلك مطالب بتسع خصال؟
قيل وما هن؟ قال الله تعالى يطالبني بالفرض والنبي بالسنة والعيال بالنفقة والنفس
بالقوت والوالدان بالبر والملكان بصدق اللسان والقبر بالجسم والدود باللحم
ومنكر ونكير بالحجة فهؤلاء غرمائي فكيف يصبح من كان على هذه الحالة؟ قد
غلب تقصيري عن الوفاء .

يقال : إن الأرض تنادي كل يوم خمس مرات يا ابن آدم تمشي على ظهري
ومصيرك إلى بطني يا ابن آدم تأكل الألوان على ظهري وتأكلك الديدان في بطني
يا ابن آدم تفرح على ظهري فسوف تحزن في بطني يا ابن آدم تضحك على ظهري
فسوف تبكي في بطني يا ابن آدم تذنب على ظهري فسوف تعذب في بطني .
قال رسول الله ﷺ : «يا أبا ذر أخلص النية فإن المولى عظيم وبادره بالعمل
فإن الأجل قريب وجوده بالتحقيق فإن الناقد بصير وأكثر الزاد فإن الطريق سحيق
وأوثق السفينة فإن البحر عميق» .



حكايات

نختم بها الباب

الأولى : سئل بعض السادة عن أول توبته فقال : كنت مشغولا بالتجارة لا أفتر من الأسفار لطلب الأرباح ، فأتى علي في بعض أسفاري ذهاب جميع مالي ، واشتد لذلك همي وعظم حزني ، فأقبلت أمشي في البرية هائما على وجهي ، وإذا بصارخ ينادي سمعت صوته وما رأيت شخصه وهو يقول : ألا تعجب مما تعجبت منه؟ فأجبتة وقلت له : ما الذي تعجبت منه؟ فقال : عجبت ممن يحزن من ذهاب ماله ، ولا يحزن على ذهاب عمره ، وعجبت ممن الدنيا مولية عنه والآخرة مقبلة عليه وهو مشغول بما أدبر عنه معرض عما أقبل إليه ، ثم انقطع الصوت عني فذهب عني جميع ما كنت فيه فظهر لي فساده ، وكان ذلك سبب توبتي .

الثانية : قال بعض السادة رأيت شابا صغيرا قد أنهكته العبادة فقلت له : يا هذا ، لقد استعجلت فراق شبابك وفقد إخوانك وأحبابك! فنظر إلي متبسما وقال لي : يا شيخ رأيت الموت لا يختص بوقت ينتظر فيه ، ولا له حد ينتهي إليه فبادرت بغتة بالكد والعمل ونعيت عن نفسي غرور التسويف والأمل .

قال : وكنا في بعض السواحل فأزال يده من يدي ومر ماشيا على الماء وهو يقول : هذا قليل عندما أرجوه في يوم الجزاء بل أنت سؤلي إن كنت لي نلت المنى **الثالثة :** روي أن رجلا جمع مالا عظيما وصنع يوما طعاما لأهله وقعد على سريره وهم بين يديه يأكلون ، وقد وضع رجلا على رجل وهو يقول لنفسه : تنعمي فقد جمعت لك ما يكفيك . فبينما هو كذلك إذ أقبل ملك الموت في زي مسكين ، ففرع الباب ، فخرج إليه بعض الغلمان فقال : ما حاجتك؟ فقال : ادعوا

لي سيدكم . فانتهروه وقالوا : مثلك يخرج إليه سيدنا؟! فقال : نعم . فجاءوا فأخبروا سيدهم بذلك فقال : هلا ضربتموه . فعاد ففرع الباب قرعا شديدا ، فخرجوا إليه فقال : أخبروا سيدكم أنني ملك الموت . فلما سمعوه وقع على الجميع الذل ، فدخل ملك الموت عليه فأحضر أمواله ، فنظر إليها تحسرا وأسفا وقال : لعنك الله من مال أنت شغلتنني عن عبادة ربي . فأنطق الله المال فقال : لم تسبني وقد كنت تدخل على الملك بي ، وكنت تنفقني في سبيل الشر فلا أمتنع منك ، ولو أنفقتني في سبيل الخير لنفعتك؟

الرابعة : قال وهب بن منبه : كان ملك من الملوك أراد أن يركب إلى أرض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما عجبه بعد مرات ، وكذلك طلب دابة فلم تعجبه حتى أتى بدواب فركب أحسنها ، فجاء إبليس فنفخ في منخره فملأه كبرا ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر إلى الناس كبرا ، فجاء رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلام فأخذ بلجام دابته فقال أرسل اللجام فقد تعاطيت أمرا عظيما فقال : إن لي إليك حاجة . قال : اصبر حتى أنزل . قال : لا الآن . فقهره على لجام دابته فقال : اذكرها . قال : هو سر فأدنى إليه رأسه فساره وقال : أنا ملك الموت . فتغير لون الملك واضطرب لسانه ، ثم قال : دعني الآن حتى أرجع إلى أهلي وأقضي حاجتي وأدعهم . قال : لا والله لا ترى أهلك وثقلك أبدا . فقبض روحه فخر كأنه خشبة ، ثم مضى فلقي عبدا مؤمنا في تلك الحال فسلم عليه فرد عليه السلام فقال : إن لي حاجة أذكرها في أذنك . فقال : هات فساره وقال : أنا ملك الموت . فقال : مرحبا وأهلا بمن طالت غيبته علي ، فوالله ما كان في الأرض غائب أحب إلي أن ألقاه منك فقال ملك الموت : اقض حاجتك التي خرجت لها . فقال : ما لي حاجة أكبر عندي ولا أحب من لقاء الله . قال : فاختر على أي حال شئت أن أقبض روحك . فقال : تقدر على ذلك؟ فقال : نعم إنني أمرت بذلك . قال : فدعني حتى أتوضأ وأصلي

فأقبض روحي وأنا ساجد فقبض روحه وهو ساجد .

الخامسة: قال وهب بن منبه: قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ما في الأرض مثله، ثم عرج إلى السماء فقالت الملائكة: لمن كنت أشد رحمة ممن قبضت روحه؟ قال: أمرت بقبض روح امرأة في فلاة من الأرض، فأتيتهما وقد ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه في فلاة لا متعهد بها. فقالت الملائكة: الجبار الذي قبضت الآن روحه هو ذلك المولود الذي رحمته. فقال ملك الموت: سبحان اللطيف لما يشاء.

السادسة: يقال: إن ملك الموت دخل يوما على سليمان - عليه السلام - فجعل يحد بصره ويطيل نظره إلى رجل من ندمائه، ثم خرج فقال الرجل: يا نبي الله، من هذا الذي دخل؟ قال: هذا ملك الموت. فقال: أخاف أنه يريد قبض روحي فخلصني منه. فقال: كيف أخلصك؟ قال: تأمر الريح أن تحملني في هذه الساعة إلى أقصى بلاد الهند في الوقت والحال، لعله يضل عني. فأمر سليمان الريح فحملته إلى أقصى بلاد الهند في الوقت والحال، فدخل ملك الموت على سليمان مرة ثانية فقال له: لأي سبب كنت تطيل النظر إلى ذلك الرجل؟ قال: كنت أتعجب منه لأنني أمرت بقبض روحه بأرض الهند، وكان بعيدا عنها إلى أن اتفق حمل الريح له إلى هناك، كما قدر الله فقبضت روحه هناك.



الباب الثالث

في قبض الروح وسكرات الموت وشدته

قال الله تعالى : ﴿قُلْ يَتُوفَكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ (1). أي : وكل يقبض أرواحكم ، وهو عزرائيل والتوفي استيفاء العدد معناه أنه يقبض أرواحهم حتى لا يبقى أحد من العدد الذي كتب عليه الموت .

وجاء في الأخبار أن الله جعل الدنيا بين يدي ملك الموت كالمائدة الصغيرة يقبض من ههنا ومن ههنا فإذا كثرت الأرواح يدعو الأرواح فتجيب له وقال تعالى ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ﴾ أي الأرواح ﴿حِينَ مَوْتِهَا﴾ يريد موت أجسادها ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ﴾ يريد يتوفى الأنفس التي لم تمت ﴿فِي مَنَامِهَا﴾ والتي يتوفى عند النوم هي النفس التي يكون بها العقل والتمييز ولكل إنسان نفسان إحداهما نفس الحياة وهي التي تفارقه عند الموت فيزول بزوالها النفس والأخرى نفس التمييز وهي التي تفارقه إذا نام وهو بعد النوم يتنفس ﴿فَيَمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ فلا يردها إلى الجسد ﴿وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ﴾ وهي التي لم يقض عليها بالموت إلى الجسد ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (2) إلى أن يأتي وقت موته . ويقال للإنسان نفس وروح فعند النوم تخرج النفس وتبقى الروح .

وعن علي - رضي الله عنه - قال : تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه في الجسد ، فبذلك يرى الرؤيا ، فإذا انتبه ، عاد أي : الروح إلى جسده بأسرع من لحظة . ويقال : إن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فيتعارف ما شاء الله -

(1) سورة السجدة ، الآية : 11 .

(2) سورة الزمر ، الآية : 42 .

عز وجل - فإذا أراد الرجوع إلى أجسادها أمسك الله - عز وجل - أرواح الأموات عنده وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها إلى انقضاء مدة حياتها .

وقال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٦﴾ . أي النفس الحلقوم عند الموت ﴿ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نُنظَرُونَ ﴿٨٤﴾ أي وأنتم يا أهل الميت تنظرون إليه حتى تخرج نفسه وقيل المعنى تنظرون إلى أمري وسلطاني لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئاً ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ ﴾ بالعلم والقدرة والرؤية وقيل ورسلنا الذين يقبضون روحه أقرب إليه منكم ﴿ وَلَكِنْ لَا بُصُرُونَ ﴾ ⁽¹⁾ الذين حضروه .

وقال تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ ﴾ يعني النفس كناية عن غير مذكور ﴿ التراقي ﴾ حين يخرج بها عند الموت والتراقي جمع ترقوة ، وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق ، ويكنى ببلوغ النفس التراقي عن لا شفاء على الموت ﴿ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿١٧﴾ ﴾ قال : من حضره الموت هل من طبيب يرقيه ويداويه فيشفيه برقيته ودوائه وقال قتادة التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله تعالى شيئاً .

وقال سليمان التيمي ، ومقاتل بن سليمان : هذا من قول الملائكة - عليهم السلام - يقول بعضهم لبعض : من يرقى بروحه فيصعد بها ؛ ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ ﴿ وَظَنَّ ﴾ أي قن الذي بلغت روحه التراقي ﴿ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾ من الدنيا ﴿ وَالنَّفْتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ ﴾ قال قتادة الشدة بالشدة وقال عطاء شدة الموت بشدة الآخرة .

قال السدي : لا يخرج من كرب إلا جاءه أشد منه . قال ابن عباس أمر الدنيا بأمر الآخرة فكان في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة . وقال الضحاك الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه .

(1) سورة الواقعة ، الآيات : 83 - 85 .

وقال الحسن هما ساقاه إذا التفتا في الكفن ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ (1) أي مرجع العباد إلى الله سبحانه وتعالى فيساقون إليه .

عن عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قالت : كان بين يدي رسول الله ﷺ ركوة أو علة فيها ماء ، فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول : « لا إله إلا الله إن للموت سكرات » (2) .

وقال أنس : لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه الكرب فقالت فاطمة : وا كرب أبتاه فقال لها : « ليس على أبيك كرب بعد اليوم » (3) .

وسئل رسول الله ﷺ عن الموت وشدته فقال : « إن أهون الموت بمنزلة حسكة في صوف ، فهل تخرج الحسكة من الصوف إلا ومعها صوف » .
ودخل - عليه السلام - على مريض ثم قال ، « إنني أعلم ما يلقي فما منه عرق إلا ويألم للموت على حدته » .

وكان علي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يحض على القتال ويقول : إن لم تقتلوا تموتوا ، والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش .

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال : إذا بقي على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغها بعلمه شدد عليه الموت ليلعب بسكرات الموت وكربه درجته في الجنة وإذا كان للكافر معروف لم يجز به في الدنيا هون عليه في الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير إلى النار .

وروي أن إبراهيم لما مات قال الله تعالى كيف وجدت الموت يا خليلي؟ فقال كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب فقال أما أنا قد هونا عليك .

(1) سورة القيامة ، الآيات : 26 - 30 .

(2) أخرجه البخاري (4/1616 ، رقم 4184) ، وأخرجه أيضاً : الطبراني (23/31 ، رقم 78) .

(3) أخرجه البخاري (4/1619 ، رقم 4193) .

وروي عن موسى عليه الصلاة والسلام أنه قال لما صارت روحه إلى الله تعالى قال له ربه يا موسى كيف وجدت الموت؟ قال وجدت نفسي كالعصفور حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير .

وروي عنه أنه قال وجدت نفسي كشاة تسلخ بيد القصاب . وروي أن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح الفاجر؟ قال : لا تطيق ذلك . قال : بلى . قال : فأعرض عني ، فأعرض عنه فالتفت فإذا هو برجل أسود قائم الشعر منتن الريح أسود الثياب يخرج من فيه ومناخره لهيب الدخان والنار ، فغشي على إبراهيم ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى ، فقال : يا ملك الموت ، لو لم يلق الفاجر عند موته إلا صورة وجهك لكان حسبه . وقال : هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن؟ قال : نعم . فأعرض عني ، فأعرض عنه ، ثم التفت فإذا هو بشاب ، فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه ، فقال : يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك كان حسبه .



الباب الرابع

فيما يستحب من الأحوال عند المحتضر

روى مسلم عن النبي ﷺ أنه قال : «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» (1).

وقال ﷺ : «حضر ملك الموت رجلاً يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئاً ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقاً بحنكه يقول لا إله إلا الله فغفر له بكلمة الإخلاص» (2).

وقال ﷺ : «احضروا موتاكم» (3) ولقنوهم لا إله إلا الله وبشروهم بالجنة ؛ فإن الخليم العليم من الرجال والنساء يتحير عند ذلك المصراع ، فإن إبليس عدو الله أقرب ما يكون من العبد في ذلك الموطن» (4).

ونقل النووي - رَجَمَهُ اللهُ - في الروضة عن الجمهور والاختصار في تلقين الميت على كلمة التوحيد لا إله إلا الله ، ونقل عن جماعة من أصحابنا أنه يضيف إليها محمد رسول الله ؛ لأن المقصود تذكرة التوحيد . قال المحب الطبري : وهو الأولى ؛ لأن المقصود موته على الإسلام ولا يسمى مسلماً إلا بهما .

-
- (1) أخرجه أحمد (247/5)، رقم (22180)، وأبو داود (134/3)، رقم (2945)، والطبراني (305/20)، رقم (727)، والحاكم (503/1)، رقم (1299) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقي (355/6)، رقم (12797) . وأخرجه أيضاً : ابن خزيمة (70/4)، رقم (2370)، والديلمى (516/3)، رقم (5609) .
- (2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (9/2)، رقم (1015)، والخطيب (124/9) . وأخرجه أيضاً : الطبراني في الدعاء (433/1)، رقم (1473) .
- (3) احضروا موتاكم : أى كونوا معهم أثناء اشتداد سكرات الموت وخروج الروح .
- (4) أخرجه أبو نعيم في الحلية (186/5) .

وذكر الجيلي شارح التبيه أنه يسن تجريعه ماء معللا بأن العطش يغلب من شدة النزع، فيخاف منه إزالال الشيطان إذ ورد أنه يأتي بماء زلال، ويقول: قل لا إله غيري حتى أسقيك، قال الشيخ شهاب الدين الأذرعي - رَحِمَهُ اللهُ - : وهذا غريب .

وقال صلى الله عليه وسلم : «اقرأوا على موتاكم يس» . رواه أبو داود (1).

وورد أن يس قلب القرآن، قاله الغزالي - رَحِمَهُ اللهُ - وإنما كانت قلبه؛ لأن المقصود الأعظم من القرآن، وما جاء به الرسل إثبات الحشر، وبيان حاله وهو فيها أتم وأبين منه في غيرها، ولعل هذا هو الحكمة في قراءتها عند الميت .
وقال الرافعي - رَحِمَهُ اللهُ - : وغيره استحب بعض التابعين قراءة سورة الرعد عند المحتضر، وأفاد ابن الرفعة أن البندنجي والعمراني قالوا ذلك فذكر أنه أسرع للخروج الروح .

وروى ابن أبي داود عن مجالد عن الشعبي قال : كانت الأنصار إذا حضروا قرءوا عند الميت سورة البقرة .

قال النووي في الأذكار بعد أن أخرجه، مجالد ضعيف فينبغي للمحتضر أن يحسن الظن بربه سبحانه وتعالى، ومعناه يظن أن الله تعالى يرحمه؛ ففي الصحيحين عن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «قال الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي» (2).

(1) أخرجه أحمد (26/5)، رقم (20316)، وأبو داود (3/191)، رقم (3121)، وابن ماجه (1/466)، رقم (1448)، وابن حبان (7/269)، رقم (3002)، والطبراني (20/219)، رقم (510)، والحاكم (1/753)، رقم (2074)، والبيهقي (3/383)، رقم (6392). وأخرجه أيضاً: الطيالسي (ص 126)، رقم (931)، وابن أبي شيبة (2/445)، رقم (10853)، والنسائي في الكبرى (6/265)، رقم (10913).
(2) أخرجه ابن حبان (2/407)، رقم (641)، والطبراني (22/87)، رقم (209). وأخرجه أيضاً: أحمد =

وعن أنس أن رسول الله ﷺ دخل على شاب وهو في الموت قال : «كيف تجدك؟» قال أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال رسول الله ﷺ : «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه ما يرجو وأمنه مما يخاف»⁽¹⁾ . رواه الترمذي .

وقال ﷺ : «يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء»⁽²⁾ .

وقال ﷺ : «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» . فقالت عائشة أو بعض أزواجه : إنا لنكره الموت فقال : «ليس ذلك ولكن المؤمن إذا حضر الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا احتضر بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله فيكره الله لقاءه»⁽³⁾ .

ومرض أعرابي فقيل له : تموت! قال : أين يذهب بي؟ قالوا : إلى الله تعالى . قال : فما كراحتي أن أذهب إلى من لا يرى الخير إلا منه .

وقال سليمان التيمي لابنه عند الموت : يا بني حدثني بالرخص لعلي ألقى الله تعالى وأنا أحسن الظن به .

= (3/491 ، رقم 16059) قال الهيثمي (2/318) : رجاله ثقات . والطبراني في الأوسط (1/126 ، رقم 401) .

(1) أخرجه عبد بن حميد (ص 404 ، رقم 1370) ، والترمذي (3/311 ، رقم 983) ، قال : حسن غريب . والنسائي في الكبرى (6/262 ، رقم 10901) ، وابن ماجه (2/1423 ، رقم 4261) ، وأبو يعلى (6/57 ، رقم 3303) ، والبيهقي في شعب الإيمان (2/4 ، رقم 1002) ، والضياء (4/413 ، رقم 1587) .
(2) أخرجه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (ص 15 ، رقم 2) ، والحكيم (3/99) ، وابن حبان (2/401 ، رقم 633) ، وابن عدى (6/326 ، ترجمة 1807 معروف بن عبد الله الخياط) ، والطبراني (22/87 ، رقم 210) ، والحاكم (4/268 ، رقم 7603) ، وقال : صحيح الإسناد . وأخرجه أيضا : أحمد (3/491 ، رقم 16059) ، والدارمي (2/395 ، رقم 2731) .

(3) أحمد ، والبخارى ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي عن عائشة وعن عبادة .

قال ابن الجوزي - رَحِمَهُ اللهُ - ورد في الخبر أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام يا ابن عمران ، حببني إلى عبادي وذكرهم نعمي عليهم وإحساني إليهم . فقال موسى عليه السلام : إلهي هذه رحمتك للأحياء فما الذي أعددت للأموات؟ فأوحى الله إليه يا ابن عمران لو سألت أهل القبور وأذنت لهم في جوابك لأخبروك أن لطفي بهم بعد موتهم أعظم من لطفي بهم في حياتهم ، يا ابن عمران لم أقطع عنهم رحمتي وهم أحياء يرزقون فكيف أقطعها عنهم وهم تحت الثرى مقبورون؟ يا ابن عمران كم عبد عصاني طول عمره فلما كان عند موته لم أنظر إلى تمرده وجهله ونظرت إلى ضعفه وذله فألهمته توحيدني وأوقفته على باي لينجو من سطوتي وعذابي .



الباب الخامس

في ذكر وفاة رسول الله ﷺ

والخلفاء الراشدين - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - أجمعين

روى البخاري عن أنس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه الكرب فقالت فاطمة وا كرب أبتاه فقال لها : «ليس على أبيك كرب بعد اليوم»⁽¹⁾

وفي الصحيحين عن ابن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك فقلت : يا رسول الله ، إنك توعك وعكا شديدا قال : «أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم» قلت : ذلك أن لك أجرين قال : «أجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته كما تحت الشجرة ورقها»⁽²⁾.

ودخل عليه أبو سعيد الخدري وعليه قطيفة فوضع يده عليه فوجد حرارتها فوق القطيفة ، فقال : ما أشد حماك فقال : «إنا كذلك يشدد علينا البلاء ويضاعف لنا الأجر»⁽³⁾.

وقال ابن مسعود : دخلنا على رسول الله ﷺ في بيت عائشة - رَضِيَ اللهُ

(1) أخرجه البخاري (4/1619 ، رقم 4193) .

(2) أخرجه أحمد (1/381 ، رقم 3618) ، ومسلم (4/1991 ، رقم 2571) ، والبخاري (5/2139 ، رقم 5324) ، وابن حبان (7/199 ، رقم 2937) .

(3) أخرجه الحاكم (1/99 ، رقم 119) ، والبيهقي (3/372 ، رقم 6325) . وأخرجه أيضًا : ابن ماجه (2/1334 ، رقم 4024) قال البوصيري (4/188) : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات . وأبو يعلى (2/312 ، رقم 1045) .

عَنْهَا - حين دنا للفراق ، فنظر إلينا فدمعت عيناه ﷺ ثم قال : «مرحبا بكم ، حياكم الله ، آواكم الله ، نصركم الله ، أوصيكم بتقوى الله وأوصي بكم الله إني لكم منه نذير مبين أن لا تعلوا على الله في عباده وبلاده وقد دنا الأجل والمنقلب إلى الله وإلى سدرة المنتهى وإلى جنة المأوى والكأس الأوفى فاقراءوا على أنفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدي مني السلام ورحمة الله» .

وقالت أم سلمة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - عامة وصيته عند موته «الصلاة وما ملكت أيمانكم» (1) .

وكانت عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - سمعته قبل ذلك يقول «ما من نبي يموت حتى يخير» قالت فسمعته يقول : «اللهم الرفيق الأعلى» فعلمت أنه ذاهب . وفي خبر عنها : فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ .

وقالت رأيت رسول الله ﷺ وهو يموت وعنده قدح فيه ماء وهو يدخل يده في القدح ثم يمسح به وجهه بالماء ثم يقول : «اللهم أعني على سكرات الموت» (2) . وذكر ابن سعد في وفاته - عليه السلام - خبراً فيه أنه لما بقي من أجله ثلاث نزل عليه جبريل فقال : يا أحمد ، إن الله أرسلني إليك إكراما لك وتفضيلا لك خاصة لك يسألك عما هو أعلم به منك يقول لك كيف تجردك؟ وفيه أن ذلك ثلاثا المرة بعد المرة وفي الثالثة صحبته ملك الموت فاستأذن عليه فأذن له ثم استأذن في قبض نفسه أو تركها وأن الله أمره بطاعته في ذلك فقال جبريل : يا أحمد ،

(1) من حديث أم سلمة : أخرجه أحمد (6/ 290 ، رقم 26526) ، وابن ماجه (1/ 519 ، رقم 1625) ، قال البوصيري (56/2) : هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين . وابن سعد (2/ 254) ، والطبراني (23/ 306 ، رقم 90) ، وعبد بن حميد (ص 445 ، رقم 1542) ، وأبو يعلى (12/ 365 ، رقم 6936) .

ومن حديث ابن عمر : أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (4/ 237) قال الهيثمي : فيه عبيد الله أبو الوليد الوصافي ، وهو متروك .

(2) أخرجه ابن أبي شيبه (6/ 42 ، رقم 29333) .

إن الله قد اشتاق إليك قال : «فابقض يا ملك الموت كما أمرت به» . قال جبريل عليه السلام السلام عليك يا رسول الله هذا آخر موطن الأرض فتوفي رسول الله ﷺ وجاءت التعزية يسمعون الصوت ولا يرون الشخص السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة إن في الله عزاء عن كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبا لله فثقوا وإياه فارجوا إنما المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وقد ذكر أن هذا المعزي هو الخضر عليه السلام .

وروي أنه - عليه السلام - قال لجبريل عند موته : «من لأمتي بعدي؟» فأوحى الله تعالى إلى جبريل أن بشر حبيبي أني لا أخذله في أمته ، وبشره بأنه أسرع الناس خروجا من الأرض إذا بعثوا وسيدهم إذا جمعوا ، وأن الجنة محرمة على الأمم حتى تدخلها أمته فقال : «الآن قرت عيني» . فلما توفي رسول الله ﷺ وسَجَّتْ الملائكة دهشت الناس وطاشت عقولهم واختلفت أحوالهم في ذلك ، فأما عمر فكان ممن خبل فجعل يقول : إنه والله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران حين غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم ، وأما عثمان فإنه أحرص حتى جعل يذهب به ويحيا وهو لا يتكلم ، وأقعد علي ، وأضني عبد الله بن أنيس ، وبلغ أبا بكر الخبر ﷺ وكان بالسبخ فجاء وعيناه تهملان فقبل النبي ﷺ فقال : بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا ، وتكلم كلاما بليغا سكن به نفوس المسلمين ، وثبت جأشهم وكان أثبت القوم - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - .

وتوفي ﷺ يوم الاثنين لثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة وعمره ثلاث وستون سنة وهو سن أبي بكر وعمر وعلي

وعائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - ودفن يوم الثلاثاء حين زالت الشمس وقيل ليلة الأربعاء .

وعن أنس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال لما كان اليوم الذي دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء وما نفضنا عن النبي ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا .



وفاة أبي بكر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -

روى أبو المليح أن أبا بكر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - لما حضرته الوفاة أرسل إلى عمر بن الخطاب فقال: إني أوصيك بوصية إن أنت قبلتها مني، إن لله - عز وجل - حقا بالليل لا يقبله بالنهار، وإن لله - عز وجل - حقا بالنهار لا يقبله بالليل، وإنه لا يقبل النافلة حتى تؤدي الفريضة، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه في الآخرة باتباعهم الحق في الدنيا وثقل ذلك عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق أن يكون ثقيلًا، وإنما خفت موازين من خفت موازينه في الآخرة باتباعهم الباطل وخفته عليهم في الدنيا وحق لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفًا، ألم تر أن الله أنزل آية الرجاء عند آية الشدة، وآية الشدة عند آية الرجاء ليكون العبد راغبًا راهبًا لا يلقي بيديه إلى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق، فإن أنت حفظت وصيتي فلا يكونن غائب أحب إليك من الموت، ولا بد لك منه، وإن أنت ضيعت وصيتي هذه، فلا يكونن غائب أبغض إليك من الموت ولست تعجزه.

وقيل: لما احتضر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - جاءت عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - فتمثلت بهذا البيت: [من الطويل]

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
فكشفت عن وجهه وقال: ليس كذلك ولكن قولي: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (1) انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فإن الحي أحوج إلى الحديد من الميت. وتوفي يوم الاثنين لثمان وقيل لثلاث بقين من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة وعمره ثلاث وستون سنة.

(1) سورة ق، الآية: 19.

وفاة عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -

طعنه أبو لؤلؤة⁽¹⁾ فيروز غلام المغيرة بن شعبة⁽²⁾ وهو قائم في صلاة الصبح بسكين مسمومة ذات طرفين ، وطعن معه ثلاثة عشر رجلا توفي منهم سبعة .

عن ابن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : كان عمر في حجري لما طعن وكان مرضه الذي توفي فيه فقال : ضع خدي بالأرض فقلت : وما عليك كان في حجري أم على الأرض؟ وظننت أن ذلك تبرم منه ، فلم أفعل فقال : ضع خدي بالأرض لا أم لك ، ويلي وويل أمني ، إن لم يرحمني ربي .

وروي أنه لما طعن وحمل إلى بيته وجاء الناس يثنون عليه ، جاء رجل شاب فقال : أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك صحبة من رسول الله ﷺ ، وقدم في الإسلام ما قد علمت ، ثم وليت فعدلت ، ثم شهادة ، فقال : وددت أن ذلك كان كفافا لا علي ولا لي . ثم قال : يا عبد الله بن عمر ، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل : عمر يقرأ عليك السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه . فقالت : كنت أريده لنفسي ولأوثرنه اليوم على نفسي ، فلما أقبل قيل له : هذا

(1) أبو لؤلؤة المجوسي كان عبداً للمغيرة بن شعبة وكان مجوسياً وقيل : نصرانياً ، وكان يصنع الأرحاء وكان المغيرة يستعمله كل يوم بأربعة دراهم فلقي عمر فقال : يا أمير المؤمنين إن المغيرة قد أثقل عليّ فكلّمه ، فقال عمر له : أحسن إلى مولاك وفي نيته أن يكلم المغيرة ، فغضب أبو لؤلؤة وقال : يسع الناس كلهم عدله غيرى وأضمر في قلبه كما قيل . ابن سعد : الطبقات الكبرى 3/345 ، السيوطي : تاريخ الخلفاء : 134/1 .

(2) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود ، أبو عيسى ، ويقال أبو عبد الله الثقفي ، كان من دهاة العرب وذوى آرائها ، أسلم عام الحندق وشهد الحديبية ، وبعثه الرسول ﷺ إلى أهل الطائف هو وأبا سفيان بن حرب فهدهما اللات ، شهد اليمامة واليرموك فأصبحت عينه يومئذٍ ، وشهد القادسية ، وولاه عمر فتوحاً كثيرة ، مات على المشهور سنة خمسين من الهجرة . ترجمته عند ابن عبد البر : الاستيعاب 4/1445 ، ابن الأثير : أسد الغابة 5/247 ، ابن حجر : الإصابة 6/697 .

عبد الله بن عمر قد جاء . قال : ارفعوني فأسنده رجل إليه فقال : ما وراءك؟ قال : الذي تحب يا أمير المؤمنين أذنت ، قال : الحمد لله ما كان شيء أحب إلي من ذلك ، فإذا أنا مت فأحملوني ثم سلم وقل : يستأذن عمر بن الخطاب فإن أذنت فأدخلوني وإن ردتني فردوني إلى مقابر المسلمين .

وفي أفراد مسلم من حديث المسور بن مخرمة أن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : لو أن لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه . وفي حديث آخر : والله لو أن لي ما طلعت عليه الشمس أو غربت لافتديت به من هول المطلاع .

وكان طعنه يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ودفن يوم الأحد هلال المحرم سنة أربع وعشرين ، وكانت خلافته عشر سنين وخمسة أشهر وواحد وعشرين يوماً ، وعمره ثلاث وستون سنة .



وفاة عثمان - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -

عن نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان قالت : لما كان اليوم الذي قتل فيه عثمان - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ظل في اليوم الذي قبله صائما ، فلما كان عند إفطاره سألهم الماء العذب فأعطوني كوزا من ماء فأتيته فحركته فاستيقظ فقلت : هذا ماء عذب . فرفع رأسه فنظر إلى الفجر فقال : إني قد أصبحت صائما إن رسول الله ﷺ اطلع علي من هذا الشفق ومعه ماء عذب فقال : اشرب يا عثمان . فشربت حتى رويت ، ثم قال ازدد فشربت حتى نهلت ، ثم قال : إن القوم يكرون عليك فإن قاتلتهم ظفرت ، وإن تركتهم أفطرت عندنا ، قالت : فدخلوا عليه من يومه فقتلوه ، وكان قتله يوم الجمعة لثمان عشرة خلون من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ، وهو ابن تسعين سنة ، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا ليال .

وعن العلاء بن الفضل عن أبيه قال : لما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه فتشوا خزائنه فوجدوا فيها صندوقا مقفلا ففتحوه فوجدوا فيه حقة فيها ورقة مكتوب فيها : هذه وصية عثمان ؛ بسم الله الرحمن الرحيم عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن الجنة حق وأن النار حق ، وأن الله يبعث من في القبور ليوم لا ريب فيه ، وأن الله لا يخلف المعياذ ، عليها نحيا وعليها نموت وعليها نبعث إن شاء الله .



وفاة علي بن أبي طالب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -

عن الشعبي⁽¹⁾ قال : لما ضرب علي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - تلك الضربة قال : ما فعل بضاربي؟ قالوا : أخذناه . قال : أطعموه من طعامي واسقوه من شرابي ؛ فإن أنا عشت رأيت فيه رأيي ، وإن أنا مت فاضربوه ضربة واحدة لا تزيدوه عليها ، ثم أوصى الحسن أن يغسله وقال : لا تغال في الكفن ؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا تغالوا في الكفن فإنه يسلب سلبا سريعا»⁽²⁾ . وامشوا بي بين المشيين لا تسرعوا بي ولا تبطنوا بي فإن كان خيرا عجلتموني إليه وإن كان شرا أقيتموني عن أعناقكم .

وروي أنه لما كانت الليلة التي أصيب فيها علي عليه السلام أتاه ابن التياح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متناقل ، فعاد الثانية وهو كذلك ، ثم عاد الثالثة فقام يمشي وهو يقول⁽³⁾ : [من الهزج]

(1) هو : عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار ، الشعبي الحميري ، أبو عمرو : رواية ، من التابعين ، يضرب المثل بحفظه . ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة . اتصل بعبد الملك بن مروان ، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم . وكان ضغيفا نحيفا ، ولد لسبعة أشهر . وسئل عما بلغ إليه حفظه ، فقال : ما كتبت سوداء في بيضاء ، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته . وهو من رجال الحديث الثقات ، استقضاه عمر بن عبد العزيز . وكان فقيها ، ونسبته إلى شعب وهو بطن من همدان . ترجمته في طبقات ابن سعد 6/246 ، وطبقات خليفة (1144) ، وتاريخ البخاري 6/450 ، وتاريخ البخاري الصغير 1/243 ، 253 ، 254 ، والمعارف 449 ، والمعرفة والتاريخ 2/592 ، وأخبار القضاة 2/413 ، والحلية 4/310 ، وطبقات الشافعية للعبادي 58 ، وتاريخ بغداد 12/227 ، وطبقات الفقهاء للشيرازي 81 ، ووفيات الاعيان 3/12 ، وتذكرة الحفاظ 1/74 ، والعبر 1/127 ، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص 32 .

(2) أخرجه أبو داود (3/199 ، رقم 3154) ، والبيهقي (3/403 ، رقم 6487) . وأخرجه أيضًا : الضياء (2/170 ، رقم 548) وقال : كذا رواه أبو داود وإسناده منقطع . والدليمي (5/63 ، رقم 7468) .

(3) ورد البيتان في ديوان علي بن أبي طالب وأحيحة بن الجلاح ، قال المبرد في الكامب : والشعر إنما يصح بأن تحذف اشدد .

اشدد حيازيمك للموت فإن الموت لاقيك
ولا تجزع من الموت وإن حل بناديكا

فلما بلغ الباب الصغير شد عليه عبد الرحمن بن ملجم فضربه بسيف مسموم في جبهته فأوصله دماغه ليلة العاشرة من رمضان ليلة الجمعة ، ثم توفي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - بالكوفة ليلة الأحد تاسع عشر من رمضان سنة أربعين .



الباب السادس

في ذكر كلمات نقلت عن جماعة عند موتهم

من الصحابة وغيرهم

لما حضر معاوية الموت قال : يا ليتني كنت رجلا من قريش بذي طوى ، وأني لم أل من هذا الأمر شيئا .

ولما حضرت عبد الملك بن مروان⁽¹⁾ الوفاة نظر إلى غسال يلوي ثوبا بيده ،

(1) هو : عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي ، أبو الوليد : من أعظم الخلفاء ودهاتهم . نشأ في المدينة ، فقيها واسع العلم ، متعبدا ، ناسكا . وشهد يوم الدار مع أبيه . واستعمله معاوية على المدينة وهو ابن 16 سنة . وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه (سنة 65هـ) فضبط أمورها وظهر بمظهر القوة ، فكان جبارا على معانديه ، قوي الهيبة . واجتمعت عليه كلمة المسلمين بعد مقتل مصعب وعبد الله ابني الزبير في حربهما مع الحجاج الثقفي . ونقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية ، وضبطت الحروف بالنقط والحركات . وهو أول من صك الدنانير في الاسلام ، وأول من نقش بالعربية على الدارهم ، وكان عمر بن الخطاب قد صك الدراهم . وكان يقال : معاوية للحلم ، وعبد الملك للحزم . ومن كلام الشعبي : ما ذاكرت أحدا إلا وجدت لي الفضل عليه ، إلا عبد الملك ، فما ذاكرته حديثا ولا شعرا إلا زادني فيه . وكان أبيض طويلا أعين رقيق الوجه ، أفوه مفتوح الفم مشبك الأسنان بالذهب ، مقرون الحاجبين ، مشرف الأنف ، ليس بالنحيل ولا البدن ، أبيض الرأس واللحية ، ونقش خاتمه «أمنت بالله مخلصا» . توفي في دمشق . ترجمته في طبقات ابن سعد 223/5 ، طبقات خليفة ت 2061 ، المحبر 377 ، تاريخ البخاري 429/5 ، المعارف 355 ، المعرفة والتاريخ 563/1 ، تاريخ اليعقوبي 14/3 ، مروج الذهب 292/3 ، تاريخ بغداد 388/10 ، طبقات الفقهاء للشيرازي 62 ، تاريخ ابن عساكر 252/10 ، تاريخ ابن الاثير 517/4 وما بعدها ، تهذيب الاسماء واللغات القسم الاول من الجزء الاول 309 ، تهذيب الكمال ص 866 ، تاريخ الاسلام 3/276 ، العبر 1/102 ، تهذيب التهذيب 253/2 ب ، ميزان الاعتدال 664/2 ، فوات الوفيات 2/402 ، البداية والنهاية 8/260 ، 9/61 ، العقد الثمين 5/512 ، تهذيب التهذيب 6/422 ، النجوم الزاهرة 1/212 ، خلاصة تهذيب التهذيب 246 ، شذرات الذهب 1/97 .

ثم يضرب به المغسلة فقال عبد الملك : والله ليتني كنت غسالا آكل من كسب يدي يوما بيوم ولم آل من أمر الناس شيئا . فبلغ ذلك أبا حازم فقال : الحمد لله الذي جعلهم إذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه ، وإذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه .

وقيل لعبد الملك : في مرضه كيف تجددك يا أمير المؤمنين؟ قال أجدني كما قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُكُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ (1) الآية .

وقيل : لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة بكى فقبل : ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ أبشر فقد أحيا الله بك سننا وأظهر بك عدلا . فبكى ثم قال : أليس أوقف فأسئل عن أمر هذا الخلق؟ فوالله لو عدلت فيهم لحفت على نفسي ألا تقوم بحجتها بين يدي الله إن لم يلقتها حجتها ، فكيف بكثير مما ضيعنا؟ وفاضت عيناه ، فلم يلبث إلا يسيرا حتى مات .

وحكي عن هارون الرشيد أنه ابتغى أكفانه عند الموت بيده ، وكان ينظر إليها ويقول : ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي﴾ (٧٨) هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٧٩﴾ (2) .

وفرش المأمون رمادا عند موته واضطجع عليه وكان يقول : يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه .

وكان المعتصم (3) يقول عند موته : لو علمت أن عمري هكذا قصير ما فعلت .

(1) سورة الأنعام ، الآية : 94 .

(2) سورة الحاقة ، الآيتان ، 28 ، 29 .

(3) أبو إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد توفي سنة 227 هـ . ترجمته في المعارف لابن قتيبة ص 383 ، والإنباء في تاريخ الخلفاء ص 140 وسير أعلام النبلاء 290/10 .

وقال عمرو بن العاص في الوفاة وقد نظر إلى صناديق بيته من يأخذها بما فيها: ليته كان بعرا.

ولما حضرت معاذاً - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - الوفاة قال: اللهم إني كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك، اللهم أنت تعلم أنني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار ولا لغرس الأشجار، ولكن لظماً الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر.

ولما اشتد به النزاع نزع نزعاً لم ينزعه أحد، فكان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال: رب احنقني خنقك فوعزتلك إنك لتعلم أن قلبي يحبك.

ولما حضرت سلمان الفارسي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - الوفاة بكى فقبل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعاً على الدنيا ولكن عهد إلينا رسول الله ﷺ أن يكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب، فلما مات نظر في جميع تركته فإذا قيمتها بضع عشر درهماً. ولما حضرت بلالاً - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - الوفاة قالت امرأته: وا حزناه! فقال: بل وا طرباه؛ غدا نلقى الأحبة محمداً وحزبه.

قال أبو مسلم: جئت أبا الدرداء - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وهو يجود بنفسه ويقول: ألا رجل يعمل لمثل مصرعي هذا؟ ألا رجل يعمل لمثل يومي هذا؟ ألا رجل يعمل لمثل ساعتني هذه؟ ثم قبض - رَحِمَهُ اللهُ - .

وقيل: فتح عبد الله بن المبارك عينيه عند الوفاة وضحك وقال: لمثل هذا فليعمل العاملون.

ولما حضرت إبراهيم النخعي الوفاة بكى فقبل: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا، ولكن أبكي على ما يفوتني من ظمأ الهواجر، وعلى قيام الليل في الشتاء.

ولما حضرت فضيلا الوفاة غشي عليه ، ثم فتح عينيه وقال : وا بعد سفري
وقلة زادي .

وقال الجريري : كنت عند الجنيد في حال نزعه وهو يقرأ القرآن فختم ،
فقلت : في هذه الحالة يا أبا القاسم؟! فقال : ومن أولى بذلك مني؟ وما هو ذا
تطوى صحيفتي .

وقال المزني : دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه فقلت له : كيف
أصبحت؟ قال : أصبحت من الدنيا راحلا ، وللإخوان مفارقا ، ولسوء عملي
ملاقيا ، وبكأس المنية شاربا ، وعلى الله واردي ، ولا أدري أروحي تصير إلى الجنة
فأهنيها ، أم إلى النار فأعزيها ، ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

ولما قسى قلبي وضائق مذاهبي	جعلت الرجا مني لعفوك سلما
تعاضمني ذنبي فلما قرنته	بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفوعن الذنب لم تزل	تجود وتعفو منة وتكرما
ولولاك لم يغو بإبليس عابد	وكيف وقد أغوى صفيك آدما



الباب السابع

فيما يقول من مات له ميت وحثه على الصبر

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ (1).

وعن أم سلمة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أوجرنى في مصيبتى واخلف لي خيرا منها إلا أجره الله تعالى في مصيبتى وأخلف له خيرا منها» (2).
قالت فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ فأخلف الله تعالى لي خيرا منه رسول الله ﷺ. رواه مسلم.

وقال ﷺ: «إذا مات ولد العبد المؤمن قال الله تعالى لملائكته قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون نعم فيقول قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون نعم فيقول ماذا قال عبدي؟ فيقولون حمدك واسترجع» (3)، فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد». حسن الترمذي (4).

وقال ﷺ: «يقول الله تعالى ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه

(1) سورة البقرة، الآيات، 155 - 157.

(2) حديث أم سلمة: أخرجه مسلم (2/631، رقم 918)، وابن ماجه (1/509، رقم 1598).

حديث أبي سلمة: أخرجه أحمد (6/309، رقم 26677).

(3) استرجع: قال إنا لله وإنا إليه راجعون.

(4) أخرجه أحمد (4/415، رقم 19740)، والترمذي (3/341، رقم 1021) وقال: حسن غريب. وابن

حبان (7/210، رقم 2948)، وابن السني (ص 218، رقم 586)، والبيهقي (4/68، رقم 6938).

من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة» رواه البخاري (1).

وذكر بعضهم أنه صحب الفضيل ثلاثين سنة فما رآه ضاحكا إلا يوم مات ولده فقيل له في ذلك فقال له إن الله أحب أمرا فأحبته . وعن معروف - رَحِمَهُ اللهُ - أنه توفي له ولد فلم يحزن عليه فقيل له في ذلك فقال رأيت جوار الله وثوابه خيرا له مني .

وقال الشيخ تقي الدين ابن تيمية - رَحِمَهُ اللهُ - : في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ بكى يوم مات ولده إبراهيم .

وروي عن بعض العارفين أنه ضحك يوم مات ولده فقيل له : تضحك في هذه الحالة؟! فقال : إن الله تعالى قضى بقضاء فأحببت أن أرضى بقضائه .

وقد استشكل هذا فقيل : كيف يبكي رسول الله وهو أرضى الخلق عن الله ويبلغ الرضا بهذا العارف إلى أن ضحك؟

فالجواب عن هذا : أن هدي نبينا ﷺ كان أكمل من هدي هذا العارف ؛ فإنه أعطى العبودية حقها فاتسع قلبه للرضا عن الله ورحمة الولد والرقعة عليه فحمد الله ورضي عنه في قضائه ، وبكى رحمة ورقة فحملته الرحمة على البكاء وعبوديته لله ومحبته له على الرضا والحمد ، وهذا العارف ضاق قلبه عن اجتماع الأمرين ولم يتسع باطنه لشهودهما والقيام بهما فشغلته عبودية الرضا عن عبودية الرحمة والرقعة .

وفي الحديث الصحيح : «إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه» (2) . فتأوله جمهور

(1) أخرجه أحمد (417/2 ، رقم 9382) ، والبخاري (5/2361 ، رقم 6060) .

(2) من حديث ابن عمر : أخرجه أحمد (2 38 ، رقم 4959) ، والبخاري (1/432 ، رقم 1226) ، ومسلم

(2/640 ، رقم 928) ، وأبو داود (3/194 ، رقم 3129) ، والترمذي (3/327 ، رقم 1004) ،

= والنسائي (4/17 ، رقم 1855) .

العلماء على ما إذا أوصى به كما كانت العرب تفعله لأنه بسببه ومنسوب إليه وقيل يعذب بسماعه بكاء أهله ويرق لهم .

قال القاضي عياض وهو أولى الأقوال وقيل يقال للميت إذا ندبوه أكنت كذلك؟ فذلك التويخ عذاب .

وحكى النووي - رَحِمَهُ اللهُ - في البستان عن موسى بن المهدي أنه قال لإبراهيم بن مسلم وعزاه بابنه فقال : أسرك وهو فتنة وأحزنك وهو صلة ورحمة؟ قال النووي وكتب رجل إلى بعض إخوانه يعزيه بابنه : أما بعد ؛ فإن الولد على والده ما عاش حزن وفتنة فإذا قدمه فهو صلة ورحمة فلا تجزع على ما فاتك من حزنه وفتنته ولا تضيع ما عوضك الله تعالى من صلته ورحمته (1).



= ومن حديث عمر: أخرجه البخارى (432/1، رقم 1226)، ومسلم (641/2، رقم 927)،
والترمذى (326/3، رقم 1002) وقال: حسن صحيح، والنسائى (18/4، رقم: 1858).
(1) بستان العارفين، ص 19.

الباب الثامن

في النهي عن النياحة

في الصحيحين عن ابن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ أنه قال :
«ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية» (1).

وروى مسلم عن أبي مالك الأشعري - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ أنه قال :
«النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال» (2) من قطران (3)
ودرع (4) من جرب» (5).

وروى الثعلبي عن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله ﷺ :
«هذه النوائح يجعلن يوم القيامة صفاً عن اليمين وصفاً عن الشمال ينبحن
كما تتبح الكلاب في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» .

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال : «ما من يوم إلا وملك الموت يقف على باب
أحدكم خمس مرات ، فإذا وجد أحدكم قد نفذ أجله وانقطع أمله ألقى عليه

(1) من حديث ابن مسعود : أخرجه أحمد (1/456 ، رقم 4361) ، والبخارى (1/435 ، رقم 1232) ،
ومسلم (1/99 ، رقم 103) ، والنسائي (4/20 ، رقم 1862) ، وابن ماجه (1/504 ، رقم 1584) .
ومن حديث أبي هريرة : أخرجه أيضاً : الطبراني في الأوسط (4/199 ، رقم 3967) . قال الهيثمي
(15/3) : فيه عبد الله بن عبد القدوس ، وفيه كلام ، وقد وثق .

(2) سربال : قميص ، ويُجمع على سربايل ، وقد تُطلق السربايل على الدُرُوع .

(3) قطران : دهن يدهن به الجمل الأجرى فيحترق لحدته وحرارته .

(4) درع : الدرع قميص النساء .

(5) أخرجه أحمد (5/343 ، رقم 22955) ، والطبراني (3/285 ، رقم 3425) ، والحاكم (1/539 ، رقم
1413) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين .

غمرات الموت ، فغشيته كرباته وغمراته ، فمن أهل بيته الناشرة لشعرها والصارخة بويلها والباكية بشجوها فيقول ملك الموت : ويلكم ممن الفزع؟ وفيم الجزع؟ ما أذهبت لواحد منكم رزقا ولا قربت له أجلا ، ولا أتيته حتى أمرت بقبض روحه ، وإن لي فيكم عودة ، ثم عودة حتى لا أبقى منكم أحدا ، فوالذي نفس محمد بيده لو يرون مكانه أو يسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ، ولبكوا على أنفسهم حتى إذا حمل الميت على النعش رفرفت روحه فوق النعش وهي تنادي : يا أهلي ، ويا أولادي ، لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي ، جمعت المال من حله ومن غير حله ، ثم خلفته لغيري فالهنأ له والتبعة علي ، فاحذروا مثل ما حل بي» .



الباب التاسع

في الصلاة على الميت وحضور دفنه

قال رسول الله ﷺ: «من شهد الجنازة حتى يصلي عليها فله قيراط ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان». قيل: وما القيراطان؟ قال: «مثل الجبلين العظيمين». رواه البخاري ومسلم⁽¹⁾.

وقال ﷺ: «ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه». رواه مسلم⁽²⁾.

وقال ﷺ: «ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفّعهم الله فيه». رواه مسلم⁽³⁾.

وقال ﷺ: «ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة آيات من جيرانه الأذنين إلا قال الله تعالى قد قبلت علمهم فيه وغفرت له ما لا يعلمون». رواه أحمد.

وقال ﷺ: «الصلاة واجبة على كل مسلم برا كان أو فاجرا وإن عمل الكبائر».

(1) أخرجه البخاري (1/445، رقم 1261)، ومسلم (2/652، رقم 945)، والنسائي (1/645، رقم 2122)، وابن حبان (7/347، رقم 3078). وأخرجه أيضًا: البيهقي (3/412، رقم 6536).

(2) مسلم (2/654، رقم 947)، وأخرجه أحمد (3/266، رقم 13830، ورقم 13831)، والنسائي (4/75، رقم 1991)، وابن حبان (7/351، رقم 3081)، والبيهقي في شعب الإيمان (4/7)، رقم 9248. وأخرجه أيضًا: الطبراني في الأوسط (6/144، رقم 6039)، والبيهقي (4/30)، رقم 6694)، والديلمي (4/32، رقم 6101).

(3) مسلم (2/655، رقم 948)، وأخرجه أحمد (1/277، رقم 2509)، وأبو داود (3/203، رقم 3170)، وابن حبان (7/351، رقم 3082).

حكى عن بعض الصالحين أنه مات رجل من جيرانه وكان مسرفاً على نفسه فامتنع كثير من الناس عن جنازته وحضرها هو وصلى عليها فلما دلي في قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود فإن قالوا مذبذوب ذو خطايا فمن منا غير مذبذوب وغير ذي خطايا؟ وقال أسيد بن حضير: ما شهدت جنازة فحدثت نفسي بشيء سوى ما هو مفعول به وما هو صائر إليه .

ونظر إبراهيم الزيات إلى أناس يتزاحمون على ميت وقال: لو تترحمون على أنفسكم لكان خيراً لكم؛ إنه نجا من أهوال ثلاثة: وجه ملك الموت قد رأى، ومرارة الموت قد ذاق، وخوف الخاتمة قد أمن .

وفي الدعاء للطبراني من حديث أنس رفعه: «من رأى جنازة فقال الله أكبر صدق الله ورسوله هذا ما وعدنا الله ورسوله اللهم زدنا إيماناً وتسليماً كتب له عشرون حسنة» .



الباب العاشر

في دفن الميت والدعاء له والاستغفار والقراءة

عن علي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : أمرنا رسول الله ﷺ أن ندفن موتانا وسط قوم صالحين فإن الموتى يتأذون بالجار سوء كما يتأذى الأحياء .

وعن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا مات لأحدكم الميت فحسّنوا كفنه وأنجزوا وصيته وأعمقوا له في قبره وجنبوه الجار السوء» قيل : يا رسول الله ، وهل ينفع الجار الصالح في الآخرة؟ قال : «هل ينفع في الدنيا؟» قالوا نعم قال : «كذلك ينفع في الآخرة» .

قال أبو عبد الله القرطبي - رَحِمَهُ اللهُ - يروى أن امرأة دُفنت بقرطبة - أعادها الله - فأنت أهلها في النوم وجعلت تعبتهم وتشكوهم وتقول : ما وجدت من أن تدفوني إلا إلى فرن الجير؟ فلما أصبحوا نظروا فلم يروا في ذلك الموضع كله ولا بقبره فرن جير ، فبحثوا وسألوا عمّن كان مدفوناً بإزاء المرأة فوجده رجلاً سيافاً كان لابن عامر وقبره إلى قبرها فأخرجوها من جواره .

وروى أبو داود عن عثمان - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال : «استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل»⁽¹⁾ .

وروى مسلم عن عمرو بن العاص - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : إذا دفنتموني فأقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها أستأنس بكم وأعلم ماذا

(1) أخرجه الحاكم (526/1)، رقم (1372) وقال : صحيح الإسناد . وأخرجه أيضاً : أبو داود (215/3)، رقم (3221) ، والبيهقي (56/4)، رقم (6856) ، والضياء (522/1)، رقم (388) .

أراجع به رسل ربي .

قال الآجري: يستحب الوقوف بعد الدفن قليلا والدعاء للميت مستقبلا وجهه بالثبات فيقال: اللهم هذا عبدك وأنت أعلم به منا، ولا نعلم منه إلا خيرا، وقد أجلسته لتسأله اللهم فثبته بالقول الثابت في الآخرة، كما ثبته في الحياة الدنيا، اللهم ارحمه وألحقه بنبيه محمد ﷺ، ولا تضلنا بعده ولا تحرمنا أجره .

قال الشافعي - رَحِمَهُ اللهُ - : ويستحب أن يقرأ عنده شيء من القرآن وإن ختم القرآن كله كان حسنا .

وقال أحمد بن حنبل: إذا دخلتم المقابر فاقروا فاتحة الكتاب والمعوذتين ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ واجعلوا ذلك لأهل القبور؛ فإنه يصل إليهم .

وروي عن ابن عمر أنه أوصى أن يقرأ إذا دفن عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها .

وحكي عن بعضهم أنه قال: قرأت على قبر حزبا من القرآن، ثم قلت: يا فلان، هذا قد أهديته لك فماذا إلي؟ قال: فهبت علي نفحة ريح مسك فغشيتني وأقامت معي ثم انصرفت وهي معي فما فارقتني إلا وقد مشيت نصف الطريق .

وقال بعضهم: ماتت لي امرأة فقرأت في بعض الليالي آيات من القرآن فأهديتها ودعوت الله - عز وجل - واستغفرت لها وسألت، فلما كان اليوم الثاني حدثتني امرأة تعرفها وتعرفني قالت لي: رأيت البارحة في النوم فلانة - تعني الميتة المذكورة - في مجلس حسن ودار حسنة وقد أخرجت أطباقا من تحت سرير كان في البيت والأطباق مملوءة نورا، فقالت لي: هذا أهداه لي صاحب بيتي، وما

كنت أعلم بها أحدا، ذكر هذه الحكاية والتي قبلها القرطبي في التذكرة⁽¹⁾.
ويروى عن النبي ﷺ قال: «ما الميت في قبره إلا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو أخيه أو صديق له فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها وإن هدايا الأحياء للأموات الدعاء والاستغفار»⁽²⁾.

وقال بعضهم: مات أخ لي رأيته في المنام، فقلت: ما كان حالك حيث وضعت في قبرك؟ قال: أتاني آت بشهاب من نار، فلولا أن داعيًا دعا لي لرأيت أنه سيضربني به.

وقال بشر بن منصور: لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف إلى الجبانات فيشهد الصلاة على الجنائز فإذا أمسى وقف على باب المقابر فقال: آنس الله وحشتكم، ورحم الله غربتكم، وتجاوز عن سيئاتكم، وقبل الله تعالى حسناتكم. لا يزيد على هذه الكلمات، قال الرجل: فأمسيت ذات ليلة فانصرفت إلى أهلي ولم آت المقابر فأدعو كما كنت أدعو، فبينما أنا نائم إذ أنا بخلق كثير قد جاءوني قلت: من أنتم؟ وما حاجتكم؟ قالوا: نحن أهل المقابر. قلت: ما جاء بكم؟ قالوا: إنك كنت عودتنا منك هدية عند انصرافك إلى أهلك. قلت: وما هي؟ قالوا: الدعوات التي كنت تدعو. قلت: فإني أعود لذلك. فما تركتها بعد.

وقال بشار بن غالب: إني رأيت رابعة العدوية⁽³⁾ - رحمها الله تعالى - في

(1) التذكرة 84.

(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (16/7)، رقم (9295)، قال الذهبي في الميزان (86/6)، ترجمة (7306) محمد بن جابر بن عياش المصيبي لا أعرفه وخبره منكر جدا.

(3) هي: البصرية، الزاهدة، العابدة، الخاشعة، أم عمرو رابعة بنت إسماعيل العدوية، أم الخير، مولاة آل عتيك، البصرية: صالحة مشهورة، من أهل البصرة، ومولدها بها. لها أخبار في العبادة والنسك، ولها شعر: من كلامها: (اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم) توفيت بالقدس، قال ابن =

منامي وكنت كثير الدعاء لها ، فقالت لي : يا بشار ، هداياك تأتينا على أطباق من نور مخمرة بمناديل الحرير . قلت : وكيف ذاك؟ قالت : وهكذا دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك على أطباق النور ، وخمر بمناديل الحرير ، ثم أتني به الميت . فقيل : هذه هدية فلان إليك .

ووقف محمد بن سليمان على قبر ولده فقال : اللهم إني أصبحت أرجوك له ، وأخافك عليه ، فحقق رجائي وآمن خوفاً .

ووقف أبو سنان على قبر ابنه فقال : اللهم إني قد غفرت له ما وجب لي عليه ، فاغفر له ما وجب لك عليه ، فإنك أجود وأكرم .

ووقف أعرابي على قبر ابنه فقال : اللهم إني وهبت له ما قصر فيه من بري ، فهب له ما قصر فيه من طاعتك .

ولما مات ذر بن عمر بن ذر ، قام أبوه بعد ما وضع في لحده فقال : يا ذر ، لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك ، فليت شعري ماذا قلت لك؟ ثم قال : اللهم إن هذا ذر متعتني به ما متعتني ، ووفيته أجله ورزقه ولم تظلمه ، اللهم وقد كنت ألزمته طاعتك وطاعتي اللهم وما وعدتني عليه من الأجر في مصيبي فقد وهبت له ذلك ، فهب لي له عذابه ولا تعذبه ، فأبكى الناس ثم قال عند انصرافه : ما علينا بعد ذلك من خصاصة ، يا ذر وما بنا إلى إنسان مع الله تعالى حاجة ، فلقد مضينا وتركانك ولو أقمنا ما نفعناك .

=خلكان : (وقبرها يزار ، وهو بظاهر القدس من شرقيه ، على رأس جبل يسمى الطور) وقال : (وفاتها سنة 135 كما في شذور العقود لابن الجوري ، وقال غيره سنة 185) .

ترجمتها في : الإحياء للغزالي : 267/2 ، وفيات الأعيان 3/215 ، عبر الذهبي 1/278 ، الرسالة القشيرية 86 ، 173 ، قوت القلوب للمكي 1/103 ، 156 ، التعرف : للكلابادي 73 ، 121 ، نفحات الأنس : 716 ، الطبقات الكبرى للشعراني 56 ، الكواكب الدرية للمناوي (96) ص 108 ، شذرات الذهب 1/193 ، تذكرة الأولياء للعطار : 1/59 ، النجوم الزاهرة : 1/330 ، شرح المقامات : 2/231 .

وقال عليه السلام : «إن مشيعي الجنازة قد وكل بهم ملك فهم مهمومون محزونون حتى إذا أسلموه في القبر ورجعوا راجعين أخذ كفا من تراب فرمى بهم وهو يقول ارجعوا إلى دنياكم أنساكم الله موتاكم فينسون ميتهم ويأخذون في شرائهم وبيعهم كأنهم لم يكونوا منه ولم يكن منهم» .

* * *

الباب الحادي عشر في الصدقة على الميت

في الصحيحين عن عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أن رجلا قال للنبي ﷺ إن أمي افتلتت نفسها وأراها لو تكلمت تصدقت فهل لي أجر إن تصدقت عنها قال: «نعم» (1).

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له». رواه مسلم (2).

وحكي أبو الليث السمرقندي - رَحِمَهُ اللهُ - عن صالح المري أنه أقبل في ليلة الجمعة يريد مسجد الجامع ليصلي به صلاة الفجر فمر بمقبرة فقال: لو أقممت حتى يطلع الفجر فصلى ركعتين واتكأ على قبر فغلبته عيناه، فرأى في منامه كأن أهل القبور قد خرجوا من قبورهم وقعدوا حلقا حلقا، فإذا شاب عليه ثياب دنية، فقعده في جانب مغموما فأقبلت أطباق مغطاة بمناديل، فكلما جاء واحدا منهم طبق أخذوه ودخل في قبره، ولم يأت الشاب شيء، فقام حزينا ليدخل قبره فقلت له: يا عبد الله، ما لي أراك حزينا؟! فقال: يا صالح المري هل رأيت الأطباق؟ فقلت: نعم. فما هي؟ فقال: تلك أطباق الأحياء لموتاهم كلما تصدقوا

(1) أخرجه عبد الرزاق (60/9)، رقم (16343).

(2) مسلم (1255/3)، رقم (1631)، وأخرجه أحمد (372/2)، رقم (8831)، والبخارى في الأدب المفرد (28/1)، رقم (38)، وأبو داود (117/3)، رقم (2880)، والترمذي (660/3)، رقم (1376) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (88/1)، رقم (242). وأخرجه أيضًا: النسائي (251/6)، رقم (3651).

عنهم ودعوا لهم أتاهم ذلك في ليلة الجمعة ، وإني رجل من أهل السند أقبلت بوالدتي أريد الحج ، فلما وصلنا البصرة توفيت وتزوجت والدتي بعدي ، ولم تذكر أن لها ولدا قد أشغلتها الدنيا ، فحق لي الحزن . فقال صالح المري : فقلت وأين أمسك؟ فذكر لي موضعها ، فلما أصبحت وقضيت صلاتي وسألت عن منزلها فأرشدت إليه ، فجئت إليها وقلت لها : إني صالح المري ، ثم قلت لها : هل لك من ولد؟ قالت : لا . فقلت : هل كان لك ولد؟ فتنفست ثم قالت : كان ومات وهو شاب . فقصصت عليها القصة فبكت ، ثم دفعت إلي ألف درهم فقالت : تصدق بها عن ولدي ولا أنساه من الدعاء والصدقة فيما بقي من عمري . قال : فتصدقت بالألف ، فلما كانت الجمعة الأخرى أقبلت أريد المسجد فأتيت المقبرة فصليت ركعتين واستندت إلى قبر فنمت ، فإذا أنا بالقوم قد خرجوا وإذا بالفتى وعليه ثياب بيض قد جاء فرحا مسرورا حتى دنا مني ثم قال : يا صالح ، جزاك الله عني خيرا قد وصلت إلينا الهدية .



الباب الثاني عشر

في زيارة القبور

روى مسلم عن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : رأى رسول الله ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال : «استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت»⁽¹⁾.

وروى مسلم أيضا عن بريدة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية»⁽²⁾.

وقال ﷺ : «من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برا»⁽³⁾.

وعن ابن سيرين قال قال رسول الله ﷺ : «إن الرجل ليموت والداه وهو عاق بهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين» .

(1) أخرجه أحمد (2/ 441، رقم 9686)، ومسلم (2/ 671، رقم 976)، وأبو داود (3/ 218، رقم 3234)، والنسائي (4/ 90، رقم 2034)، وابن حبان (7/ 440، رقم 3169). وأخرجه أيضًا: ابن أبي شيبة (3/ 29)،

(2) أخرجه مالك (1/ 28، رقم 58)، وأحمد (2/ 300، رقم 7980)، ومسلم (1/ 218، رقم 249)، والنسائي (1/ 93، رقم 150)، وابن ماجه (2/ 1439، رقم 4306)، وابن حبان (3/ 321، رقم 1046). وأخرجه أيضًا: أبو يعلى (11/ 387، رقم 6502)، وأبو عوانة (1/ 122، رقم 360)، والبيهقي (1/ 82، رقم 392).

(3) ذكره الحكيم (1/ 126)، والطبراني في الأوسط (6/ 175، رقم 6114) قال الهيثمي (3/ 60): فيه عبد الكريم أبو أمية، وهو ضعيف. وأخرجه أيضًا: الديلمي (3/ 495، رقم 5537)، والرافعي (1/ 303).

وقال عليه السلام: «ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم».

وقال أبو هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : إذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فيسلم عليه رد عليه السلام وعرفه ، وإذ مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه .

وقال رجل من آل عاصم الجحدري : رأيت عاصما في منامي بعد موته بستين فقلت : أليس قد مت؟ قال : بلى . قلت : فأين أنت؟ قال : أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى بكر بن عبد الله المزني فنتلقى أخباركم . قلت : أجسامكم أو أرواحكم؟ قال : هيئات بليت الأجسام ، وإنما تتلاقى الأرواح . قال : فقلت : هل تعلمون بزيارتنا إياكم؟ قال : نعم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت إلى طلوع الشمس . قلت : وكيف ذلك دون الأيام كلها؟ قال : بفضل يوم الجمعة وعظمه . وكان محمد بن واسع - رَحِمَهُ اللهُ - يزور يوم الجمعة فقيل له : لو أخرجت إلى الاثنين . فقال : بلغني أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة وبما قبله وبما بعده .



الباب الثالث عشر

في حقيقة الموت

الذي تدل عليه الآيات والأخبار أن الموت مفارقة الروح للجسد ، فالروح باقية مدركة منعمة في الجنة أو معذبة في النار ، وأول ما تدركه الروح عند مفارقة الجسد يختلف بحال الإنسان ، فالمؤمن المقبل على الله المتنعم بذكره كان جسده سجنًا لروحه وحياته طريقًا إلى مقصوده وليس له من الدنيا إلا بلغة يتزود بها في مسيره ، فإذا مات فقد خرج من السجن ووصل إلى محبوبه الذي يتنعم بذكره ولم ييال بما ترك من الدنيا بعد أن عاين مطلوبه ثم يكشف ثواب طاعته فيتم سروره ، وبالعكس منه من كان غافلاً عن المولى معرضاً عن الأخرى مشغلاً بالدنيا متنعمًا بزهرتها فهو كسارق دخل في دار الملك فجعل يأكل ويشرب ويلهو ونسي صولة الملك وبطشه فإذا أخذه وأزعجه عن داره تحسر على مفارقة ما كان فيه من من اللذات وتكشف له عاقبة ما قدم من الجنائيات . قال الله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا ﴾ أي على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله تعالى ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ .

قال ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - : عند الموت . وقال قتادة ومقاتل : إذا خرجوا من قبورهم . وقال وكيع : البشرى تكون في ثلاثة مواطن ؛ عند الموت ، وفي القبر ، وعند البعث ﴿ أَلَّا تَخَافُوا ﴾ من الموت . قال مجاهد : لا تخافوا ما تقدمون عليه من الآخرة ﴿ وَلَا تَحْزَنُوا ﴾ على ما خلفتم من أهل وولد فإننا نخلفكم من ذلك كله . وقال عطاء بن أبي رباح : لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم فإني أغفرها لكم ﴿ وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ * نَحْنُ

أَوْلِيَاؤُكُمْ ﴿ أَنْصَارِكُمْ وَأَحِبَّاءُكُمْ أَي ﴿ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ . وقال السدي : تقول الملائكة نحن الحفظة الذين كنا معكم في الدنيا ونحن أولياؤكم في الآخرة يقولون لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة ﴿ وَلكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُنَّ أَنْفُسُكُمْ ﴾ من الكرامات واللذات ﴿ وَلكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ تتمنون ﴿ نُزُلًا ﴾ رزقا ﴿ مِّنْ عَفْوَِرٍ رَّحِيمٍ ﴾ (1).

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال : «مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى إذا رأى الضوء ورضع لم يحب أن يرجع إلى مكانه فكذلك المؤمن يجزع من الموت فإذا أفضى إلى ربه لم يحب أن يرجع إلى الدنيا كما لا يحب أن يرجع الجنين إلى بطن أمه».

عن عمرو بن دينار قال ما من ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده وإنهم ليغسلونه ويكفنونه وإنه لينظر إليهم وقال ﷺ : «لا تفضحوا أمواتكم بسيئات أعمالكم فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور» (2).

وقال ﷺ : «إن الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره» (3). وروى أبو أيوب الأنصاري عن النبي ﷺ أنه قال : «نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله تعالى كما يتلقى البشير في الدنيا يقولون انظروا أخاكم حتى يستريح فإنه كان في كرب شديد فيسألون ماذا فعل فلان؟ وما فعلت فلانة؟ وهل تزوجت فلانة؟ فإذا سألوه عن رجل مات قبله فقال مات قبلي قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب إلى أمه الهاوية» (4).

(1) سورة فصلت ، الآيتان ، 29 ، 30 .

(2) أخرجه الديلمي (29/5 ، رقم 7357) .

(3) أخرجه أحمد (3/3 ، رقم 11010) قال الهيثمي (21/3) : رواه أحمد والطبراني في الأوسط وفيه رجل لم أجد من ترجمه ، وأخرجه أيضاً : الديلمي (4/240 ، رقم 6721) .

(4) أخرجه الطبراني في الكبير (4/129 ، رقم 3887) ، وفي الأوسط (1/53 ، رقم 148) . قال الهيثمي =

ونقل القرطبي - رَحِمَهُ اللهُ - عن أبي الحسن القابسي - رَحِمَهُ اللهُ - أنه قال الصحيح من المذهب والذي عليه أهل السنة أن الروح ترفعها الملائكة حتى توقفها بين يدي الله تعالى فيسألها فإن كانت من أهل السعادة قال سيروا بها وأروها مقعدها من الجنة فيسيرون بها في الجنة على قدر ما يغسل الميت فإذا غسل وكفن ردت وأدركت بين كفنه وجسده فإذا حمل على النعش فإنه يسمع كلام الناس من تكلم بخير ومن تكلم بشر فإذا وصل إلى قبره وصلي عليه ردت فيه الروح وقعد ذا روح وجسد ودخل عليه الملكان الفتانان ، قال القرطبي الروح جسم لطيف مشابه للأجسام المحسوسة لا يموت ولا يفنى وهو مما له أول وليس له آخر وكل من يقول إن الروح تموت وتفنى فهو ملحد وكذلك من يقول بالتناسخ إذا خرجت من هذا ركبت في شيء آخر حمار أو كلب أو غير ذلك .



الباب الرابع عشر
في عذاب القبر وسؤال منكر ونكير
وما ينفع الميت في قبره

وفيه ثلاثة فصول :

obeyikandl.com

الفصل الأول

في عذاب القبر

روى مسلم عن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ قال : «إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة الحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال»⁽¹⁾.

قال رسول الله ﷺ : «ما رأيت منزلا فظيعا إلا والقبر أظفع منه»⁽²⁾.

وكان عثمان بن عفان - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - إذا وقف على قبر بكى حتى بل لحيته ، فسئل عن ذلك وقيل له : تذكر الجنة والنار ولا تبكي ، وتبكي إذا وقفت على قبر؟! فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن القبر أول منزل من منازل الآخرة فإذا نجا منه صاحبه فما بعده أيسر وإن لم ينج منه فما بعده أشد»⁽³⁾.

وروى الترمذي عن أبي سعيد قال : دخل رسول الله ﷺ مصلاها فرأى ناسا كأنهم يكثرون فقال : «أمانكم لو أكثرتم من ذكر هادم اللذات الموت فإنه لم يأت

(1) أخرجه أحمد (2/237، رقم 7236) ، ومسلم (1/412، رقم 588) ، وأبو داود (1/258، رقم 983) ، والنسائي (3/58، رقم 1310) ، وابن حبان (5/298، رقم 1967) .

(2) أخرجه هناد (1/211، رقم 344) ، وعبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (1/63، رقم 454) ، والترمذي (4/553، رقم 2308) وقال : حسن غريب . وابن ماجه (2/1426، رقم 4267) ، والحاكم (4/366، رقم 7942) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقي (4/56، رقم 6856) .

(3) أخرجه هناد في الزهد (1/211، رقم 344) ، وعبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (1/63، رقم 454) ، والترمذي (4/553، رقم 2308) وقال : حسن غريب ، وابن ماجه (2/1426، رقم 4267) ، والحاكم (1/526، رقم 1373) ، والبيهقي (4/56، رقم 6856) . وأخرجه أيضاً : البزار (2/89، رقم 444) ، والخطيب (6/89) .

على القبر يوم إلا يتكلم فيقول أنا بيت الغربية أنا بيت الوحدة أنا بيت التراب أنا بيت الدود فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحبا وأهلا أما إن كنت لأحب من يمشي على ظهر الأرض إلي فاذا وليتك اليوم وصرت إلي فسترى صنيعي بك قال فيتسع له مد بصره ويفتح له باب إلى الجنة وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر لا مرحبا ولا أهلا أما كنت لأبغض من يمشي على ظهري إلي فاذا وليتك اليوم وصرت إلي فسترى صنيعي بك قال فيلتئم عليه حتى تختلف أضلعه» .

قال رسول الله ﷺ بأصابعه ، فأدخل بعضها في بعض قال : «ويقيض له سبعون تينا لو أن واحدا منها نفخ في الأرض ما أنبت شيئا ما بقيت الدنيا فينهشنه ويخدشنه حتى يفضى به إلى الحساب»⁽¹⁾ .

وقال ﷺ : «إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار»⁽²⁾ .

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ أنه قال : «المؤمن في قبره في روضة خضراء ، ويرحب له في قبره سبعون ذراعا ، ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر ، هل تدرون في ماذا أنزلت هذه الآية؟ : ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾» قالوا: الله ورسوله أعلم . قال : «عذاب الكافر في قبره ، يسلط عليه تسعة وتسعون تينا ، هل تدرون ما التين؟ تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رءوس يخدشونه ويلسعونه وينفخون في جسمه إلى يوم يبعثون»⁽³⁾ .

وقال ﷺ : «إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك

(1) أخرجه الترمذى (4/639 ، رقم 2460) .

(2) تابع للحديث السابق .

(3) أخرجه الترمذى (3/383 ، رقم 1071) وقال : حسن غريب . وأخرجه أيضًا : ابن حبان (7/386 ، رقم

3117) ، وابن أبي عاصم (2/416 ، رقم 864) ، والرافعى (3/247) . وانظر الترغيب والترهيب

للمنزدي 4/193 .

حتى تبعث إليه يوم القيامة»⁽¹⁾.

وقال أبو ذر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : ألا أخبركم بيوم فقري يوم أوضع في قبري .



(1) أخرجه البخارى (5/2388، رقم 6150)، ومسلم (4/2199، رقم 2866)، والترمذى (3/384، رقم 1072) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (2/1427، رقم 4270) .

الفصل الثاني

في سؤال منكر ونكير

عن أنس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن النبي ﷺ قال : «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل محمدا؟ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا وأما الكافر والمنافق فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت ويضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين»⁽¹⁾.

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال قال رسول الله ﷺ : «إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسوله فيقولان قد كنا نعلم أنك كنت تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ثم ينور له فيه ثم يقول له نم فيقول أرجع إلى أهلي فأخبرهم فيقولان نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وإن كان منافقا أو كافرا قال سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثله لا أدري فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فقال للأرض التثمي عليه فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»⁽²⁾.

(1) أحمد، والبيهقي، وأبو داود، والنسائي عن أنس.

(2) أخرجه الترمذي (383/3، رقم 1071) وقال: حسن غريب. وأخرجه أيضا: ابن حبان (7/386، رقم

3117)، وابن أبي عاصم (2/416، رقم 864)، والرافعي (247/3).

وعن عبد الله الصغاني قال : رأيت يزيد بن هارون في المنام بعد موته بأربع ليال فقلت : ما فعل الله بك؟ قال : تقبل مني الحسنات وتجاوز عني السيئات . قلت : وما كان بعد ذلك؟ قال : وهل يكون من الكريم إلا الكرم ، غفر لي ذنوبي فأدخلني الجنة . قلت : بم نلت الذي نلت؟ قال : بمجالس الذكر ، وقولي الحق ، وصدقي في الحديث ، وطول قيامي في الصلاة ، وصبري على الفقر . قلت : منكر ونكير حق؟ قال : إي والله الذي لا إله إلا هو لقد أقعداني وسألاني من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فجعلت أنفض البيضاء عن التراب وقلت : مثلي يسأل أنا يزيد بن هارون الواسطي كنت في دار الدنيا ستين سنة أعلم الناس! فقال أحدهما : صدق هو يزيد بن هارون ، نم نومة العروس فلا روعة عليك بعد اليوم .

قال بعض العلماء : الحكمة في سؤال الملكين أن الملائكة طعنت في بني آدم بقولهم : ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ فقال الله تعالى : ﴿أني أعلم ما لا تعلمون﴾⁽¹⁾ . فإذا مات المؤمن بعث الله إلى قبره ملكين فيقولان له : من ربك؟ وما دينك؟ فيقول : ربي الله وديني الإسلام . فيأمرهما الله تعالى ويقول : اشهدا بين الملائكة بما سمعتما ، ثم يقول الله تعالى : يا ملائكتي ، انظروا إلى عبدي قد أخذت روحه وماله فماله لعدوه وزوجته في حجر غيره وضيعته في يد غيره ، ثم إن الملائكة سأله في بطن الأرض ولم يذكر غير توحيدني وتنزهي لتعلموا أنني أعلم ما لا تعلمون .



(1) سورة البقرة ، الآية : 30 .

الفصل الثالث

فيما ينفع الميت في قبره

قال رسول الله ﷺ: «سبعة يجري أجرها للعبد بعد موته وهو في قبره من علم علما أو أجرى نهرا أو حفر بئرا أو غرس نخلا أو بنى مسجدا أو ورث مصحفا أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته»⁽¹⁾.

وقال ﷺ: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ في مرضه الذي يموت فيه لم يفتتن في قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه من الصراط إلى الجنة».

قال كعب الأخبار: إذا وضع الرجل الصالح في قبره احتوشته أعماله الصالحة الصلاة والصوم والحج والجهاد والصدقة قال وتجيء ملائكة العذاب من قبل رجله فتقول الصلاة إليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد أطال بي الصلاة في القيام لله تعالى، قال: فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام: لا سبيل لكم عليه فقد أطال بي الصيام. قال: فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد: إليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله - عز وجل - لا سبيل لكم عليه، فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة: كم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وضعت في يد الله عز وجل ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له نم هنيئا طبت حيا وميتا قال فتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا من الجنة ويفسح له مد بصره ويؤتى بقنديل من الجنة يستضيء بنوره إلى يوم يبعثه الله من قبره.

(1) أخرجه أبو نعيم في الحلية (344/2)، والبيهقي في شعب الإيمان (3/248)، رقم (3449)، وأخرجه أيضاً: الديلمي (2/330)، رقم (3492).

وروى الترمذي عن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال : ضرب رجل من أصحاب رسول الله ﷺ خبائه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر ، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها ، فأتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر ، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها! فقال النبي ﷺ : «هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر»⁽¹⁾.



(1) أخرجه أبو نعيم في الحلية (248/7) .

obeyikandl.com